

الشعر يعلمك كيف تكون للنهر سيرة ذاتية وللنبح ذاكرة

السوري أسامة إسبر: القصيدة صوت يخلق الأشياء والترجمة طريق للتحرك



نحن أسرى قراءة الغرب لنا

الذين لا يعرفون منطقتنا وثقافتنا معرفة دقيقة، كما أن نتاجهم يعتمد على آليات تسويقية ودعائية كبيرة قادرة على تحويلها إلى نصوص عابرة لحاجز الترجمة ومسوقة جيداً.

الترجمة لعبت ولا تزال تلعب دوراً مهماً في الثقافة العربية التي لا يمكن فصلها عن الترجمة منذ عصر المأمون

الكتب التي تحدثت عن الإرهاب والتطرف لا تكف عن التدفق من مطابع الغرب، ولكن ما يهمني هو الكتاب الذي يقدم قراءة عميقة لهذه الظاهرة، الكتاب المنحصر من النظرة الاستيعابية المركزية الغربية لآخر، والكتاب الذي يدعو إلى التحرر من النظرة الأوروبية التي تتحكم بالفكر الأكاديمي والبعثي في العالم، وينظر إلى أوروبا كأي بلد من بلدان العالم، وبالتالي يتحرر من قراءتها للعالم والتي تقود قراءات كثيرة. نحتاج إلى الكتاب الذي يحلل ويقرأ نقدياً كي يكشف الحقيقة.

الترجمة لعبت ولا تزال تلعب دوراً مهماً في الثقافة العربية، لا يمكن فصل الثقافة العربية عن الترجمة منذ عصر المأمون. لا تسمح لنا هذه المساحة بأن نناقش المسألة بالتفصيل، ولكن أود أن أقول باختصار إن مشكلة الترجمة في العالم العربي، وخاصة الترجمة الفكرية، تكمن في انفصالها عن الإبداع الفكري والفلسفي.

ما المقصود بهذا؟ أقصد هنا أن الترجمة تدور في فلك والثقافة في فلك آخر يتسم بالانحدار، وإذا كان هدف الثقافة هو النقد والتحليل وإنتاج الواقع معرفياً من أجل العمل على تغييره وبناء واقع أفضل، فإن ترجمة الآخر يجب أن تمتلك معرفياً أيضاً، أي أن تخدم هذا الهدف النبيل، بمعنى أنه في قراءتنا لواقعنا يجب أن نقرأ الآخر نقدياً أيضاً ونرى فيه ما يفيدنا، أي يجب أن نمتلك مسافة نقدية مع فكر الآخرين ونطويعه في عملنا الثقافي وإلا سينحدر إلى كومة من الألفاظ تحتل المزيد من الرفوف.

قصص قصيرة محددة لكتاب مختلفين فشرعت في ترجمتها وصدرت وقتها في كتاب بعنوان "عشاق البحيرة". ومن بعد اختارتنى الترجمة عبر إدواردو غاليانو.

كان لي الشرف في تقديم هذا الكتاب الكبير في اللغة العربية، وكنت أول من ترجم كتابه وعرف القراء العرب عليه، هو ومايكل أونداتجي والسن لايتمان. شعرت كما لو أن هذا الكتاب اختارني كي أترجمه. كان كتاباً ساحراً استطاع فيه غاليانو أن يقدم نصاً أدبياً هو مزيج للأجناس الأدبية كلها مختقراً الحواجز والحدود التي ينصبها من يسميهم بضباط جمارك الأدب بين الأجناس. لقد أدهشني الكتاب إلى درجة أنني شعرت بانني لا أستطيع مقاومة ترجمته.

الذات والآخر

● **العرب:** كيف ترى حركة الترجمة في المجال الثقافي العربي اليوم؟

■ **أسامة إسبر:** حركة الترجمة هي حركة تجارية في قسم كبير منها، مرتبطة بالسوق وبالكتب التي تحقق رواجاً، وهذا لا ينطبق فقط على اللغة العربية بل على الكثير من لغات العالم. أحياناً تلعب الأحداث الكبرى والحروب دوراً في تسويق الترجمة، وقد يكون السبب دعائياً وإعلامياً في الكثير من الأحيان، بمعنى أن هناك فرقاً بين ترجمة غابرييل غارسيا ماركيز ووليم فوكنر ومايكل أونداتجي الذين أخذوا نقلة نوعية في فن الرواية على صعيد الشكل الفني والرؤية، وبين ترجمة رواية مرتبطة بحدث كبير، لا لأنها أحدثت نقلة فنية على صعيد الكتابة وعمقت رؤيتنا للواقع أو الحدث، بل لأن هناك اهتماماً إعلامياً أو تعاطفاً مع الحدث.

كما أن هناك فرقاً بين ترجمة لمفكر مثل تيري إيغلستون يتناول هذه الظاهرة في كتابه الذي ترجمته وصدر في طبعة جديدة عن دار خطوط وظلال بعنوان "الإرهاب المقدس"، من منظور فكري وفلسفي وكتاب سياسي عادي. وكما تعلم، نحن أسرى قراءة الغرب لنا، بمعنى أن الكتب الأكثر مبيعا وطالبا هي الكتب التي تتناول الأحداث التي نعيشها ولكنها مروية من منظور الآخرين،

الشعر كما كتب النثر، علي أن تشغل على نحت اللغة كما لو أنك تخلق تمثالا من الحجر وتكتف أبعاده الإيحائية.

تأثير الترجمة

● **العرب:** هل أثرت الترجمة والأعمال التي قمت بنقلها إلى العربية من شعر وروايات وقصص وغير ذلك من آداب عالمية في كتاباتك؟

■ **أسامة إسبر:** لقد ترجمت عن الإنجليزية قصائد أحببتها لشعراء كثيرين، وفي أحدث ترجمة شعرية لي لشعراء منحدرين من السكان الأصليين لأميركا، جمعتها في أنطولوجيا سأحاول إصدارها قريباً، اكتشفت الشعر من جديد، اكتشفت كيف تصغي اللغة إلى خفيف الأوراق وتنتظر إلى لون التربة وتتامل سقوط المطر وانعكاسات الأضواء الشاطئية أو على صفحة النهر، كيف تكون للنهر سيرة ذاتية، وللنبح ذاكرة ثقافية، كيف تعاود الطبيعة ولادتها في النص وكيف تتأكد قداستها فيه وكيف تتحول القصيدة إلى صوت خالق للأشياء وحام لها.

أثر هذا في كثيراً في المرحلة الأخيرة، وصرت بعد قراءة هذه التجارب المهمشة والتي أغنت اللغة الإنجليزية وفتحت أفقا للشعرية بعيداً عن المؤسسات والجامعات، أفهم كتابة الشعر بطريقة مختلفة، لقد تحسرت من الصراعات الأدبية الأيديولوجية، ومن اللغة التي لا تقول إلا نفسها، ومن فجولة اللغة، من طمسها لأشياء الواقع، أحاول أن أخترق هذه الزينة اللغوية، نحو صرخة الأشياء، أو صرخة اللغة في تحولها إلى صوت أو إيقاع للأشياء، هذا ما أصيب إليه.

الترجمة هي التي اختارتني، ولا أعد نفسي مترجماً ولم أكن أصح أبداً إلى أن أكون هكذا، لكن إيقاع الحياة يقول أحياناً وتقع في المصيدة. اختارتنى الترجمة حين كنت أكتب مجموعتي القصصية الأولى التي صدرت عن دار المدى بعنوان "السيرة الدينامية"، في ذلك الوقت كنت أقرأ لكتاب آخرين باللغة الإنجليزية وسحرتني

وأعتقد أن قصيدة النثر يجب أن توسع أفق التجربة، وأن تمتلك ذكاء شعرياً. والسؤال الذي يجب أن نطرحه هنا هو أنه إذا كنا نسلم باننا نكتب شعراً بالنثر، كيف نجعله مختلفاً جذرياً عن النثر العادي؟ ألا ينبغي هنا أن نكتب القصيدة بنثر يتألق شعرياً بطريقة نتفخه من براثن المألوف؟

ما يحدث هو تبديل تاريخي للأشكال: لقد انحسرت القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة، وقررت الروح الشعرية أن تسكن في قصيدة النثر، ولهذا ينبغي أن نجهز شقة لأنفة يسكن هذه الروح، أي أن ننقي اللغة، نعدل جذرياً طريقة استخدامها كي تحل مكان الكلام العادي والمكرر والشائع، وبالتالي يجب أن تكون قصيدة النثر خرقاً للمألوف النثري.

أكتب قصيدة النثر، وأعتمد على الصورة والإيجاز في محاولة لتجنب الوقوع في مطب المألوف والنثر العادي. ثمة تحد كبير في كتابة قصيدة النثر هو كيف تقود النثر إلى الشعر، كيف تولد وتوسع وتؤكد اللحظة الشعرية أو الرؤية الشعرية بلغة نثرية؟

كان الوزن في السابق هوية إشكالية للشعرية، بمعنى أن كثيراً من الكلام العادي من تحت اسم الشعر، في قناع الوزن، دون أن يكون شعراً. هذا ما يحدث أيضاً الآن. وهناك من يرى أن القصائد الطويلة هي تتالي قصائد قصيرة، والمطولات تقود إلى السقوط في اللغة الاعتيادية، كما أن الوعي اللغوي الشعري هو وعي فني أي أسلوبي، فانت لا تستطيع أن تكتب

الكثير من الكتاب والشعراء العرب مارسوا الترجمة فأثرت في نصوصهم وسأهموا بشكل مزدوج من منصة التأليف والترجمة في إثراء الساحة الثقافية العربية وتطويرها بشكل منفرد على أهم الحركات الأدبية العالمية وأبرز أداب المعمورة. لكن، وإن تطورت الترجمة بشكل لافت، فإن هناك نوعاً من المفارقة حيث تشهد التراجم من اللغات الأخرى إلى العربية اتساعاً لافتاً، في حين أن الساحة الثقافية ما انفكت تنحدر في مجال الإنتاج. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الشاعر والكاتب والمترجم السوري أسامة إسبر حول قضايا الشعر والأدب والترجمة.

واكتشاف منظورات جديدة للكتابة الشعرية تربط هذه الأشياء بالثقافة، وبالتالي تحررت المفردة من ذاكرة اللغة الشعرية واندفعت إلى عنق الشيء في أفق بصري جديد، وهنا نشأت لحظة شعرية حاولت الاستفادة منها في ما كتبه الآن، وكان ديواني الأخير "على طرقي البحرية" الصادر عن دار خطوط وظلال في الأردن، هو نتاج هذه التجربة الجديدة في التحرك.

كان الشعر بالنسبة إلى دوما محاولة لرؤية الواقع بشكل مختلف والتعبير عن هذه الرؤية، وبالتالي الكشف عن جوانب مشسية أو مغفلة، ولكن السؤال المهم هو كيف يمكن رسم هذا الاختلاف ومنح خصوصية للتجربة من خلال الشكل الفني والأسلوب؟

كانت المجموعة الشعرية الأولى التي أصدرتها هي "ميثاق الموج" وأحدث مجموعة هي "مقهى المنتحرين". ومن أحدث ترجماته "الكاترانية" لريموند كارفر، رواية "أسنان بيضاء" لزيدي سمعان، "الفناء الإسمنتي" لإيان مكسوان، ورواية "التراب الأميركي" لجينين كمنز، ورواية "كندا" لرتشارد فورورد ورواية "توقيعه على الأشياء كلها" لإليزابيث جيلبرت و"الكتب في حياتي" لهنري ميلر.

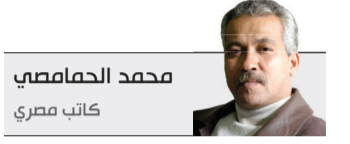
العرب: كيف كانت بداياتك الشعرية، وأي مسار اتخذته قصيدتك في تشكيلها وتطويرها؟

■ **أسامة إسبر:** تعود بداياتي في الكتابة إلى مرحلة الدراسة الثانوية. كان أول نص كتبتة هو قصيدة نثر أرسلتها في ذلك الوقت إلى جريدة السيفر اللبنانية. وحين نشرت بعد أسبوعين من إرسالها شعرت بسعادة غامرة، وقررت الدخول في هذا المجال.

كان هذا أول نص منشور لي. وكما تعلم، تتسم مرحلة البدايات بالتأثر والقلق والبحث عن الاستقلالية والصوت المختلف. في البداية شعرت بانني أساير الأساليب الشعرية المهيمنة، لذلك أنجيتي نشأ في وقت تميز بصعود شعري عربي ارتبط بالتطلعات الوطنية والقومية وتأثيرات مجلة "شعر" وبرزت أسماء كادونيس ومحمود درويش ونزار قباني هيمنت أصواتها وأساليبها على اللغة الشعرية والأسلوب، أي أن تأثير هؤلاء الشعراء كان طاعياً.

في تلك المرحلة كنت أدرس الأدب الإنجليزي في الجامعة وكنت مهتماً بآراء إيليويت وخاصة رأيه حول كيفية تحرر الشعراء الشباب من التأثر بالأصوات الشعرية الكبيرة التي فرضت حضورها على الساحة، وتأجيل قراءتها حتى وقت لاحق.

تأثرت لغتي في البداية، لكنني حاولت تحريرها في ما بعد، ولم أنجح في ذلك إلا بعد فترة طويلة، وساعدتني في ذلك ممارستي للتصوير الفنى الفوتوغرافي الذي حرنني من طغيان اللغة على الصورة ونقلني إلى الشيء كمادة بصرية، وإلى الكتابة عن الأشياء في سياق بصري، في سياق وجودها المادي وما يوحي به،



محمد الحماصي
كاتب مصري

● **العرب:** يمتلك الشاعر السوري المقيم في أميركا أسامة إسبر تجربة ثرية في عطائها الإبداعي حيث يجمع ما بين كتابة الشعر والقصة القصيرة والترجمة، وفي جميعها تتجلى خصوصية رؤيته، ففي الشعر قدم نصاً مكثفاً وعميقاً في تشكيلاته المجازية، وفي القصة اشتبك نحصه مع قلق الوجود وبحث الذات عن كينونتها في عالم يضح بالخطب، أما الأعمال التي ترجمها عن الإنجليزية فحملت الكثير من رواء وأفكاره. صدرت له أربع مجموعات شعرية هي "شاشات التاريخ"، "ميثاق الموج"، "تتكرر فوق المغيث"، و"حيث لا يعيش"، ومجموعتان قصصيتان هما "السيرة الدينامية" و"مقهى المنتحرين". ومن أحدث ترجماته "الكاترانية" لريموند كارفر، رواية "أسنان بيضاء" لزيدي سمعان، "الفناء الإسمنتي" لإيان مكسوان، ورواية "التراب الأميركي" لجينين كمنز، ورواية "كندا" لرتشارد فورورد ورواية "توقيعه على الأشياء كلها" لإليزابيث جيلبرت و"الكتب في حياتي" لهنري ميلر.

كتابة لا تكتمل

● **العرب:** كيف كانت بداياتك الشعرية، وأي مسار اتخذته قصيدتك في تشكيلها وتطويرها؟

■ **أسامة إسبر:** تعود بداياتي في الكتابة إلى مرحلة الدراسة الثانوية. كان أول نص كتبتة هو قصيدة نثر أرسلتها في ذلك الوقت إلى جريدة السيفر اللبنانية. وحين نشرت بعد أسبوعين من إرسالها شعرت بسعادة غامرة، وقررت الدخول في هذا المجال.

كان هذا أول نص منشور لي. وكما تعلم، تتسم مرحلة البدايات بالتأثر والقلق والبحث عن الاستقلالية والصوت المختلف. في البداية شعرت بانني أساير الأساليب الشعرية المهيمنة، لذلك أنجيتي نشأ في وقت تميز بصعود شعري عربي ارتبط بالتطلعات الوطنية والقومية وتأثيرات مجلة "شعر" وبرزت أسماء كادونيس ومحمود درويش ونزار قباني هيمنت أصواتها وأساليبها على اللغة الشعرية والأسلوب، أي أن تأثير هؤلاء الشعراء كان طاعياً.

في تلك المرحلة كنت أدرس الأدب الإنجليزي في الجامعة وكنت مهتماً بآراء إيليويت وخاصة رأيه حول كيفية تحرر الشعراء الشباب من التأثر بالأصوات الشعرية الكبيرة التي فرضت حضورها على الساحة، وتأجيل قراءتها حتى وقت لاحق.

تأثرت لغتي في البداية، لكنني حاولت تحريرها في ما بعد، ولم أنجح في ذلك إلا بعد فترة طويلة، وساعدتني في ذلك ممارستي للتصوير الفنى الفوتوغرافي الذي حرنني من طغيان اللغة على الصورة ونقلني إلى الشيء كمادة بصرية، وإلى الكتابة عن الأشياء في سياق بصري، في سياق وجودها المادي وما يوحي به،

